

قصة لاتصح في سيرة الفاروق رضي الله عنه خالد بن محمد الأنصاري



تشتد الحاجة في هذه الأيام إلى تذكير الناس بسير سلفنا الصالح ، ونشر قصصهم وأخبارهم الصحيحة ، وابتعاث العبر من ماضيهم الزاهر لنسترشد بها في حاضرنا اليوم:

استرشد الغرب بالماضي فأرشده
ونحن كان لنا ماضٍ نسيناهُ

ولاسيما ماضي الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - لأنهم قدوتنا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة)).
ولكون هؤلاء الخلفاء - رضي الله عنهم - هم اللذين بنوا مجد هذه الأمة وتاريخها:

إني أحب أبا حفص وشيعته
كما أحب عتيقاً صاحب الغار

وقد رضيتُ علياً قدوةً علماً
وما رضيتُ بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة ساداتي ومعتقدي
فهل عليّ بهذا القول من عارٍ

وسيرة الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حافلة بالمناقب والفضائل والفتوحات الإسلامية ، فهو ثاني الخلفاء ، وأول من لقب بأمر المؤمنين ، وأول من أرخ التاريخ ، وله دور كبير في جمع القرآن الكريم ، وقد قال علي رضي الله عنه : ((إذا ذكر الصالحون فحيهلاً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ - وقال أيضاً - : يا أبا حفص والله طالما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " دخلت أنا وأبي بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبي بكر وعمر ، وجئت أنا وأبي بكر وعمر " فأسأل الله أن يحشرك مع صاحبك)) .

ولقد اعتاد بعض الواعظين في القديم والحديث عند ذكر سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يذكروا رجلاً في يده عصاً غليظة وهي "الدرّة" يطوف بها بين المجامع، ولا يكاد يدرك خطأً من أحد إلا وكانت الدرّة أسبق إليه من أي تفاهم مسبق ، وينسون أن عمر رضي الله عنه كان رقيق القلب وكثير البكاء وقد مات وفي خديه خطان أسودان من البكاء.

وبالغ بعض الكتاب في سرد القصص عن عمر ودرته ، أو عن شخصيته الذاتية ، والمعروفة بالشجاعة في الجاهلية والإسلام ؛ حتى خرجت عن الحد المألوف ؛ إلى حد الخفة والعياذ بالله ، وما هكذا كان عمر رضي الله عنه وإنما استهوت العامة هذه القصص فكثر ذكرها ؛ والبس الحق منها بالباطل ، ورسمت في الأذهان صورة عن أمير المؤمنين لو عرضت عليه في حياته لأنكرها ، وهذا ما أخشى أن يقع فيه بعض من يدعوا لتجسيد سيرته درامياً:

فمن يباري أبا حفص وسيرته
أو من يحاول للفاروق تشبيها

كذاك أخلاقه كانت وما عهدت
بعد النبوة أخلاق تحاكيها

وسأذكر بعض النماذج من تلك القصص التي انتشرت من خلال بعض الكتب والخطب عن سيرة الفاروق رضي الله عنه للتنبيه عليها:

□ القصة الأولى:

أن عمر رضي الله عنه روى في المنام فقيل له: ما صنع الله بك فقال: جاء الملكين ليسألاني فمسكتهما وقلت لهما من ربكما .

□ القصة الثانية:

أن عمر رضي الله عنه إذا تذكر أمرين بكى لأحدهما وضحك للآخر ، إذا تذكر إنه كان يدفن ابنته وهي على قيد الحياة بكى ، وإذا تذكر إنه كان يعبد صنما من التمر فإذا جاع أكله ضحك.

□ القصة الثالثة:

أن حلاقا كان يقص شعر عمر رضي الله عنه ففتح رضي الله عنه فحدث الحلاق وقيل اغمي عليه فأمر له عمر رضي الله عنه بأربعين درهما .

القصة الرابعة:

ذكر أن أهل مصر كانت لهم عادة قديمة وهي ألا يجري النيل في السنة حتى يلقوا فيه جارية بكر عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، وقد كتب والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الأمر فرد عليه أمير المؤمنين إني قد بعثت إليك بورقة مع كتابي هذا فألفيها في النيل ؛ وفي الورقة كتاب عمر رضي الله عنه يخاطب به النيل ويقول فيه: من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر أما بعد : فإن كنت تجري من قبلك فلا تجري ، وإن كنت تجري من قبل الله فنسأل الله أن يجريك ، فجرى وزاد ستة عشر ذراعا دفعة واحده.

القصة الخامسة:

أن عمر رضي الله عنه سأل رجلا فقال : له ما أسمك فقال الرجل : جمة فقال له : ابن من فقال الرجل : ابن شهاب فقال له : ممن فقال : من الحرقة وهكذا يجيب بما فيه معنى النار ومرادفاتها فقال له عمر رضي الله عنه : أدرك أهل بيتك فقد احترقوا فلما رجع إليهم فإذا هم قد احترقوا .

فسيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مليئة بالقصص الثابتة عنه في كتب التفاسير ودواوين السنة النبوية وكتب التاريخ بأسانيد صحيحة .

وقد جعل منه الإسلام إماما وقدوة لهذه الأمة ، وهذا دليل على عظمة الإسلام ومدى تأثيره في النفوس .

فأوصي بقراءة سير السلف الصالح أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وسعد وابن المبارك والإمام البخاري وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وصلاح الدين وغيرهم ممن أشرق بهم التاريخ الإسلامي .

يارب فابعث لنا من مثلهم نفرا
يشيدون لنا مجدا أضعناه

فلنعد إلى تاريخنا وماضينا المشرق لنستمد منه العزة والقوة ؛ ولنعد كذلك بعزيمة قوية لقراءة مصادر التلقي وهي القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية ولنترك إضاعة الوقت فيما ليس فيه فائدة للإسلام والمسلمين .

خالد بن محمد الأنصاري